هدير البحر والأشواق

هدير البحر يَفْتِلُ من دمائي، من شراييني
حبالَ سفينةٍ بيضاءَ يَنْعُس فوقها القمرُ،
ويُرعش ظلَّها السَّحرُ.
ومن شُبَّاكيَ المفتوحِ تهمس بي وتأتيني
سماءُ الصيف خلَّف طيفَه في صحوها المطرُ
ونحن نسير، والدنيا تسير وتقرع الأبواب
فتوقظ من رؤاه القلب: ذاك عدوك الزمنُ
تدور رحاه ... كم ستظلُّ تَخفِق؟ ها هم الأصحاب
ترابٌ منه تمتلئ الدروبُ وتشرب الدمنُ!

* * *

يودُّ القلبُ لو حطَّمتِه، لو حطمتْ خفقاتُهُ شفتيكِ
والكتفين والصدرا،
ولو ذرَّتك من زفراتي الحرَّى
رياحُ الوجد والحرمان. وا لهفي على عينيكِ!
ليتهما تمرانِ
بدمعٍ أو بإشفاقٍ على صحراء حرماني،
لِيَنْبُتَ في مداها الزهر! ليتهما تمرَّانِ
بما نسجَ التأمُّل من غيوم فيهما حيرى،
بما نسجَ التفرُّد من نجومٍ فيهما سكرى،
على عمري الذي عرَّاه من زهراته الداءُ

يود القلب لو حطَّمتِه، لو حطمتْ خفقاتُه شفتيك
والكتفين والصدرا،
ولو عرَّاكِ، لو ذرَّاكِ، لو أكلتكِ أشواقي،
ولو أصبحتِ خفقًا، أو دماءً فيه، أو سرًّا،
فإن أحببتك الحبَّ الذي أقسى من الموت
وأعنفُ من لظى البركان، والحبَّ الذي يأتي
إليَّ كأنَّ نفخَ الصور فيه، فكل ذَرٍّ الميتين دمٌ وأحياء،
فذاك لأنك النورُ الذي عرَّى دجى الأعمى،
وأنت صباي عاد إليَّ، أختًا عاد أو أمًّا،
وأنت حبيبتي، أفديك، أفدي خفق جفنيك
وما نفضا من السحب،
وأفدي خفق نهديكِ
على قلبي!

بيروت، ١ / ٧ / ١٩٦٢